

الأربعون العقديّة

الحديث: الخامس عشر



*بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ***

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ به من شرور أنفسنا
ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلا هادي له
، وأشهد ألا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .
"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ"
(آل عمران: 102) "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ
وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ
بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا" (النساء: 1)
"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً {70} يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً"
(الأحزاب: 70: 71)

فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم
، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل
ضلالة في النار.

نص حديث الباب :

عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ:
صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحَدِيثِ عَلَى
اِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ ، فَقَالَ : « هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ » قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ
أَعْلَمُ ، قَالَ : " أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ :
مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ :
بِنُوءٍ كَذَا وَكَذَا ، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ "

* تخريج الحديث :

أخرجه البخاري (1038) باب : قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : { وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ
تُكذِّبُونَ }

ومسلم (71) باب بيان كفر من قال: مُطِرْنَا بِالنُّوءِ .

* أهم الفوائد التي نستنبطها من حديث الباب:

أولاً: عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ:
صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَّةِ

وكان ذلك لما خرج النبي -صلى الله عليه وسلم - هو وأصحابه إلى
عمرة الحديبية في ذي القعدة سنة 6 هـ ، ومعه زوجته أم سلمة، في ألف
وأربعمائة ، ويقال: ألف وخمسمائة.

ولما علم المشركون بمقدم الرسول -صلى الله عليه وسلم - عزموا على
صده عن البيت الحرام ، ولكن وانتهى الأمر إلى صلح الحديبية الذي سمّاه
الله -عز وجل- فتحاً مبيئاً .

وكان من بنود هذا الصلح أن يرجع الرسول -صلى الله عليه وسلم -
من عامه ، فلا يدخل مكة إلا في العام الذي بعده .

*قول زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ:
صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ
النَّبِيَّةِ :

قوله « عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ »:

والإثر : هو ما يعقب الشيء، والسماء المطر، كما في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : " وَفِيمَا سَقَتِ السَّمَاءُ الْعُثْرُ " ، وَسُمِّيَ الْمَطْرُ سَمَاءً لِنَزْوَلِهِ مِنْ
جَهَةِ السَّمَاءِ وَهُوَ الْعُلُو ، وَذَلِكَ مِنْ بَابِ اسْتِعَارَةِ اسْمِ الشَّيْءِ لِغَيْرِهِ إِذَا
كَانَ مُجَاوِراً لَهُ .

قال الشاعر :

إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ ... رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابًا .¹

*فالمعنى العام :

أن الصحابي زيد بن خالد - رضى الله عنه- يخبر أن رسول الله -صلى
الله عليه وسلم - قد صلى بالمسلمين صلاة الصبح على إثر سماء، أى أن
ذلك قد صادف سقوط المطر .

¹ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد(406/6) مطالع الأنوار على صحاح
الأثر(511/5)

***ثم قال رضى الله عنه :**
« فَلَمَّا أَنْصَرَفَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ ، فَقَالَ :
« هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ » قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ :
***وهنا فوائد :**

(1) الأولى :

قوله : فلما انصرف من صلاته صلى الله عليه وسلم أقبل على الناس :
فقد كان من هدى النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يُعلم أصحابه - رضى الله عنهم- ويُخبرهم بما استُجد من أمور الوحي .

(2) الثانية :

فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟

وهذا سؤال بدأ به النبي - صلى الله عليه وسلم - حديثه للصحابة رضى الله عنه . وكان هذا من هدى النبي - صلى الله عليه وسلم - في تعليمه لأصحابه - رضى الله عنه - أن يبدأ حديثه بسؤال للفت الانتباه وجذب الأسماع فيطرح سؤالاً على السامعين ، ولهذا نظائر كثيرة :
حديث المفلس ، يقول صلى الله عليه وسلم: أتدرون من المفلس؟
ويقول صلى الله عليه وسلم: أتدرون ما الغيبة ؟

ويقول صلى الله عليه وسلم : أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟

ويقول صلى الله عليه وسلم : أتدرون أين تذهب هذه الشمس ؟

***ومن هذا الباب حديث الباب : يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - فى بدء كلامه : هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟**

(3) الثالثة :

قوله صلى الله عليه وسلم : هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟

وهذا حديث يروى فيه النبي - صلى الله عليه وسلم - حديثاً قدسياً عن رب العزة ، والأحاديث القدسية من أدلة أهل السنة على إثبات صفة الكلام لله عزوجل ؛ وذلك لما فيها من نسبة الكلام وإضافته إلى الله -تعالى- إضافة صفة إلى موصوف .

لذا فقد أخرج البخاري -رحمه الله- حديث الباب في صحيحه كتاب

التوحيد : باب قول الله تعالى: {يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ}

[الفتح: 115]

قال ابن بطال :

أراد بهذه الترجمة وأحاديثها أن كلام الله -تعالى- صفة قائمة به ، وأنه لم يزل متكلماً ولا يزال .²

* وقد ورد في رواية النسائي قوله صلى الله عليه وسلم:
أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ رَبُّكُمْ إِلَهًا ؟³

وهذه فيها زيادة فائدة في صفة كلام الله تعالى ؛ فهي تدل على أن الله - تعالى- يتكلم بمشيئته واختياره ، فصفة الكلام لله -تعالى- صفة ذاتية فعلية ، ذاتية باعتبار الأصل ، وفعلية باعتبار تجدد آحاد الكلام . فهذا معنى ما قَعَدَه العلماء في كلام الله تعالى بقولهم أنه :
" قديم النوع ، حادث الأفراد " ، و قولهم " حادث الآحاد " :
ليس معناه أن كلامه مخلوق ؛ بل كلامه - تعالى - متعلق بمشيئته، فإذا شاء تكلم ، وإذا شاء لم يتكلم سبحانه .⁴

فالله -عز وجل- إنما قال لموسى (لَنْ تَرَانِي) ، في وقت بعينه وذلك (لَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ) ، وليس من الأزل يقول ذلك .

وقال تعالى (إِنِّي مُنَزَّلُهَا عَلَيْكُمْ) لما طلب الحواريون المائدة من عيسى عليه السلام فقالوا (هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

كلام أحمد وغيره من الأئمة صريح في أن الله يتكلم بمشيئته وقدرته، وأنه لم يزل يتكلم إذا شاء ، ولم يقل أحد من السلف أن الله تكلم بغير مشيئته وقدرته، ولا قال أحد منهم أن نفس الكلام المعين كالقرآن أو ندائه لموسى

² فتح الباري لابن حجر(660/13)

³ السنن الكبرى(1847) والطبراني في الكبير(5213) وانظر صحيح الجامع (2362)

⁴ وفارق بين المخلوق والحادث ، فالمخلوق هو ما جاء أصله من العدم ، كحال الإنسان ، قال تعالى (هَلْ أُنثِيَ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا (1) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ ..) ، فلأن الإنسان مخلوق ، فقبل خلقه لم يكن شيئاً يُذكر ، وأما الحادث فهو المتجدد الوقوع مع وجود أصله للمتصف به .

فمن هذا الباب يقال أن كلام الله -عز وجل- حادث وليس بمخلوق ، وبيان ذلك يقال :
كلامه -سبحانه- قديم من حيث أنه تعالى لم يزل متصفاً به من الأزل ، حادث في آحاده وأفراده ، قال تعالى (مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ)

أوغير ذلك من كلامه المعين أنه قديم أزلي . 5

*** عودٌ إلى حديث الباب : فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :**

«هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ...

وهذا من أدب الصحابة -رضى الله عنهم- حيث وقفوا عن الخوض فيما لا يعلمون ، وهذا مما أدبهم القرآن وربّاهم عليه ، كما ورد في الآية قوله تعالى (وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ)

***فإن قيل : قول الصحابة رضى الله عنهم : " اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ " ،**

أليس قد ورد النهى عن مثل هذه الصيغ التى يُجمع فيها بين الله -تعالى- ورسوله صلى الله عليه وسلم ؟؟

كما في قوله - صلى الله عليه وسلم - لمن قال له : مَا شَاءَ اللَّهُ ، وَشِئْتُ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

" أَجَعَلْتَنِي وَاللَّهِ عَدْلًا ، بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ " . 6

*** والجواب أن يقال :**

أن النبي - صلى الله عليه وسلم- إنما أراد في باب النهى عن ذلك حسم المادة وسد الذريعة ، وغلق باب المغالاة في شخص الرسول صلى الله عليه وسلم .

فمثل هذه العبارات قد تُوهم أن مشيئة العبد في درجة مشيئة الرب سبحانه وتعالى ، مع كون العبد له مشيئة ، ولكنها تابعة لمشيئة الله تعالى ، كما قال تعالى (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا)

وأما الجواب عن حديث الباب :

ففي إقراره صلى الله عليه وسلم للصحابة -رضى الله عنهم- على قولهم : " اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ " ، فغاية ما فيه إنما هو بيان أن ذلك جائز من حيث الأصل لمن يؤمن عليه الوقوع في علة النهى .

***وقيل في الجمع وجه آخر :**

أن النهى إنما يتوجه في الأمور الكونية ، ومنها المشيئة ، وأما الأمور الشرعية المتعلقة بالوحي والتشريع فهذه ممّا علّمه الله -تعالى- لنبيه . - صلى الله عليه وسلم - فلا حرج عندها أن يقال : " اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ " .

5 مجموعة الرسائل والمسائل (68/3) وقد ذكرنا أدلة ذلك مفصلة في رسالتنا "البيان في إزهاق حُجج من قال بخلق القرآن "

6 أخرجه أحمد (1839) وصححه الألبانى في الصّحیحة (139)

*عَوْدٌ لِحَدِيثِ الْبَابِ :

لَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟
قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ:
" أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ
وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنُوءٍ كَذَا وَكَذَا،
فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ..

فيذكر النبي - صلى الله عليه وسلم - اختلاف حال العباد عند نزول المطر ،
فتراهم بين قسمين :

(1) القسم الأول :

حال المؤمنين الذين ينسبون الفضل لله تعالى ، فالمطر إنما هو من فضل
الله -تعالى- ومن رحمته بالعباد ، قال تعالى (أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ
وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَيْهَ مَعِ اللَّهُ) (النمل/63)
وقال تعالى (وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ
الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ) (الشوري/28)

لذا صار من السنن القولية التي تقال إثر سقوط المطر :
"مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ " ، وهذا من شكر الله تعالى .

قال النووي :

ويُستحبُّ أن يشكر الله -سبحانه وتعالى- على هذه النعمة ، أعني نزول
المطر .⁷

وكذلك كان صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى المطر قال:
" اللَّهُمَّ صَيِّبًا نَافِعًا " .⁸ ، "والصَّيِّبُ هُوَ الْمَطَرُ"

*وكان صلى الله عليه وسلم إذا ما قلَّ نزول المطر قال: «اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ
اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا " .

وأما إذا زاد نزول المطر إلى حد الهلكة فكان صلى الله عليه وسلم يرفع
يديه ويقول :

«اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا، وَلَا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الْآكَامِ وَالْجِبَالِ وَالظَّرَابِ وَالْأُودِيَةِ

⁷ الأذكار (ح/467)

⁸ رواه البخاري(1032) بَابُ مَا يُقَالُ إِذَا مَطَرَتْ.

وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ»⁹

*** كما يشرع الدعاء عند نزول المطر :**

أخرج ابن المُنذر عن ثابت -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ:
بَلَّغْنَا أَنَّهُ يُسْتَجَابُ الدُّعَاءُ عِنْدَ الْمَطَرِ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ { وَهُوَ الَّذِي يَنْزِلُ
الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا }¹⁰

وقد نصَّ على استحباب الدعاء عند المطر غير واحد من الأئمة، ومنهم:
شيخ الإسلام ابن تيمية والشافعي والقرطبي .¹¹
وأما الأحاديث الواردة في استحباب الدعاء عند نزول المطر فلا تخلوا
أسانيدها من المقال .

*** ومن السنن الفعلية عند نزول المطر "التعرض لماء المطر" :**

لا شك أن ماء المطر ماء مبارك ، قال تعالى (وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ) (ق/9)
وبركة المطر ظاهرة بيّنة في آثاره على البلاد والعباد ، قال تعالى بعد
ذكره لنزول المطر (فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَا) (الروم/50)

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
قَالَ : " مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ بَرَكَاتٍ إِلَّا أَصْبَحَ فَرِيْقٌ مِنَ النَّاسِ بِهَا
كَافِرِينَ ، يُنْزِلُ اللهُ الْغَيْثَ فَيَقُولُونَ: الْكُوكَبُ كَذَا وَكَذَا " .¹²
لذا كان من هدى النبي -صلى الله عليه وسلم- التعرُّض لماء المطر :
قَالَ أَنَسُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

أَصَابَنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَطَرٌ ، قَالَ: فَحَسَرَ
رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثَوْبَهُ ، حَتَّى أَصَابَهُ مِنَ الْمَطَرِ ، فَقُلْنَا:
يَا رَسُولَ اللهِ لِمَ صَنَعْتَ هَذَا؟

قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لَأَنَّ عَهْدَ بَرِّهِ تَعَالَى» .¹³

*** والمعنى :**

⁹ متفق عليه . وقال النووي : قال أهل اللغة الإكام بكسر الهمزة جمع أكمة ، ويقال في جمعها
آكام ، وهي دون الجبل وأعلى من الرابية ، وقيل دون الرابية ، (والظراب) واحدها ظرب وهي
الروابي الصغار .

¹⁰ الدر المنثور (354/7)

¹¹ مجموع الفتاوى (129/27) والجامع لأحكام القرآن (184/3) شعب الإيمان (375/2)

¹² أخرجه مسلم (72)

¹³ أخرجه مسلم (898)

أنه صلى الله عليه وسلم قد حسر - أي كشف بعض بدنه - لماء المطر ؛
لأنه (حديث عهد بربه) : أي بتكوين ربه إيّاه ، ومعناه أن ماء المطر
قريب العهد بخلق الله - تعالى - لها ؛ فيتبرك به .
قال النووي :

هذا الحديث دليل لقول أصحابنا أنه يستحب عند أول المطر أن يكشف غير
عورته ليناله المطر .¹⁴

*وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - في استسقاء النبي -صلى الله عليه
وسلم- المطر على المنبر ، قال رضي الله عنه :
" ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ عَنْ مَنْبَرِهِ حَتَّى رَأَيْتُ الْمَطَرَ يَتَحَادَرُ عَلَى لِحْيَتِهِ " .¹⁵
وقد ترجم له البخاري ، باب : من تَمَطَّرَ في المطر حتى يتحادر على
لحيته .

قال ابن حجر :

كأن المصنف أراد أن يبين أن تحادَرَ المطر على لحيته - صلى الله عليه
وسلم- لم يكن اتفاقاً ، وإنما كان قصداً ، فلذلك ترجم بقوله :

" من تَمَطَّرَ " ، أي : قصد نزول المطر عليه ؛ لأنه لو لم يكن باختياره
لنزل عن المنبر أول ما وكف السقف ، لكنه تمادى في خطبته حتى كثر
نزوله بحيث تحادر على لحيته صلى الله عليه وسلم .¹⁶

*وعن ابن أبي مليكة قال : كان ابن عباس -رضى الله عنهما- إذا مطَّرت
السماء يقول: يَا جَارِيَةُ ! أَخْرَجِي سَرَجِي ، أَخْرَجِي ثِيَابِي ، وَيَقُولُ :
{ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا } .¹⁷

(2) القسم الثاني :

حال من ينسب المطر إلى النوء ، فيقول مُطَرْنَا بنوء كذا وكذا
فما حكم هذا القائل بنسبة المطر إلى النوء ؟؟؟؟

نقول أولاً :

كان من عادة أهل الجاهلية أنهم ينسبون كثيراً من الأحداث التي تقع في
الأرض بحركة النجوم والكواكب ، ومما يدل على ذلك :

¹⁴ شرح مسلم للنووي (196/6)

¹⁵ رواه البخاري (1033)

¹⁶ فتح الباري (520/2)

¹⁷ أخرجه البخاري في الأدب المفرد(1228) ، وصححه الألباني في صحيح الأدب
المفرد(ص/298) والسرج ما يوضع على ظهر الفرس .

ما رواه ابن عَبَّاسٍ -رضى الله عنهما- قال: أنه قد رُمِيَ بِنَجْمٍ فَاسْتَنَارَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لأصحابه:

«مَادَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، إِذَا رُمِيَ بِمِثْلِ هَذَا؟»
قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، كُنَّا نَقُولُ وُلِدَ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، وَمَاتَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
« فَأَنَّهَا لَا يُرْمَى بِهَا لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ، إِذَا قَضَى أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلَ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا» ثُمَّ قَالَ: " الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ: مَادَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ فَيُخْبِرُونَهُمْ مَادَا قَالَ: قَالَ فَيَسْتَخْبِرُ بَعْضُ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ بَعْضًا، حَتَّى يَبْلُغَ الْخَبْرُ هَذِهِ السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَتُحْطَفُ الْأَجْنُ السَّمْعُ فَيَقْذِفُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ، وَيُرْمُونَ بِهِ . 18

*وفي رواية الْمُعِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ - رضى الله عنه- قال:
كَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَوْمَ مَاتَ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ النَّاسُ: كَسَفَتِ الشَّمْسُ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ فَصَلُّوا، وَادْعُوا اللَّهَ» . 19

* نقول :

ومن هذا الباب قد كان أهل الجاهلية ينسبون المطر إلى النوء ، كما قد ورد في حديث الباب .

وعن أبي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ-رضى الله عنه- أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: " أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالْأَسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ . 20
وقد ترجم البخاري باب : قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: { وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ } [الواقعة: 82] ، ثم روي حديث الباب : " أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ..... " .

18 أخرجه مسلم (2229)

19 متفق عليه . و(إبراهيم) وهو ابن النبي - صلى الله عليه وسلم - من مارية القبطية ، توفي وعمره ثمانية عشر شهراً .

20 أخرجه مسلم (934)

وكذلك روي مسلم بَابُ : بَيَانِ كُفْرِ مَنْ قَالَ : مُطِرْنَا بِالنَّوْءِ :
 عن ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : مُطِرَ النَّاسُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ -
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ : النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
 " أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ وَمِنْهُمْ كَافِرٌ ، قَالُوا : هَذِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ ، وَقَالَ
 بَعْضُهُمْ : لَقَدْ صَدَقَ نَوْءٌ كَذَا وَكَذَا " قَالَ :
 فَأَنْزَلَ اللَّهُ قَوْلَهُ { وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكذِّبُونَ } [الواقعة: 82] . 21

* والمعنى :

أى أن هذا الرزق الذى ساقه الله إليكم ، والذى هو المطر كان يستحق منكم
 أن تشكروا الله - تعالى - عليه ، ولكنكم جعلتم موضع الشكر التكذيب ؛
 وذلك لما نسبتم المطر إلى النوء ، وهو قول جمهور المفسرين. 22
 قال أبو عمر :

الرزق في هذه الآية بمعنى الشكر ، كأنه قال : وتجعلون شكركم لله على
 ما رزقكم من الماء أن تنسبوا ذلك الرزق إلى الكوكب. 23
 والظاهر من فعل المشركين - والله أعلم - أنهم كانوا يقصدون
 بقولهم: «مطرنا بنوء كذا وكذا»:

أن حركة النوء هي التى تسببت في إسقاط المطر ، لا أنها هي الفاعلة
 بذاتها لذلك ؛ يدل عليه قوله تعالى
 (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا
 لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) (العنكبوت/63)

*** أصل الأنواء :

أنواء : جمع نوء ، وناء النجم أى طلع ونهض ، والمعنى :
 سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر ، وطلوع رقيبته ، وهو نجم
 آخر يقابله من ساعته في المشرق في كل ليلة ، وإنما سُمي نوءاً ؛ لأنه إذا

21 أخرجه مسلم (73)

22 وقال ابن القيم في تفسير الآية : أي تجعلون حظكم من هذا الرزق الذي به حياتكم - يعني
 القرآن - التكذيب به . وهو قول الحسن. والراجح هو ما ذهب إليه جمهور المفسرين ؛ وذلك
 لقول ابن عباس - رضى الله عنهما - أن سبب نزول الآية إنما هو نسبة المطر للأنواء ، وهذا
 مما يأخذ حكم الرفع . وانظر التبيان في أقسام القرآن (ص/236) وفتح المجيد شرح كتاب
 التوحيد(ص/429)

23 التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد(407/6)

سقط الغارب ناء الطالع - أي: نهض وطلع- وذلك الطلوع هو النوء،
وبعضهم يجعل النوء السقوط ، كأنه من الأضداد .²⁴
وقد كان أهل الجاهلية ينسبون نزول المطر إلى النجوم ، فيقولون:
مُطِرنا بنوء كذا ، ويعتقدون أنه إذا سقط النجم الفلاني جاء المطر، وإذا
طلع النجم الفلاني جاء المطر.²⁵

لذا فقد أخبر أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنْ خِصَالِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ ،
وَالَّتِي كَانَ مِنْهَا : " الْأَسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ ... " .
فتعلقت نفس القائل بهذا السبب، ونسي نعمة الله عزوجل، وهذا الكفر لا
يخرج من الملة ، لأن المراد نسبة المطر إلى النوء على أنه سبب ، وليس
إلى النوء على أنه فاعل ، وهذا مما يُطلق عليه " كُفْرُ النِّعْمَةِ " .²⁶
* ومما يدل على ما ذكرناه رواية مسلم أن ابن عباس رضي الله
عنهما- قَالَ:

مُطِرَ النَّاسُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ وَمِنْهُمْ كَافِرٌ، قَالُوا: هَذِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ،
وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءٌ كَذَا وَكَذَا .²⁷

*****وهنا نأتى إلى الجواب عن السؤال :**

فما حكم هذا القائل بنسبة المطر إلى النوء؟؟

*** وجواب هذا السؤال على تفصيل :²⁸**

²⁴ الإتحافات السنوية للمناوي(ص/40) وشرح السنة(420/4)
²⁵ والأنواء هي : منازل تُعرف للنجوم كانت معروفة عند العرب وهذه المنازل ينزل كل واحد
من هذه النجوم أو يسقط في الشرق ينوء -أي يصعد - في مقابله نجم في الغرب ، كل ثلاثة
عشر يوماً =

=فسميَ النجم بالنوء لأنه يصعد فيكون في مقابل ما سقط من النجم ، وهم ثمانية وعشرون
منزلاً ، وهي المعروفة بمنازل القمر الثمانية والعشرين، كل منزلاً في ثلاثة عشر يوماً ، فإذا
ضربت ثماني وعشرون في ثلاثة عشر كان المحصلة عدد أيام السنة ثلاثمائة وأربع وستون
يوماً .

*ولذلك كانوا يترقبون هذه الأنواء ويتابعونها حتى يعلموا النجم الذي سقط وما يتبعه من نجم
ينوء أو يرتفع ويعلو بمقابله ، وكانوا يرون أنه عند حدوث ما يكون من سقوط نجم ونوء نجم
آخر أن ذلك يكون سبب في سقوط المطر ، ويقولون مُطِرنا بنوء كذا .

²⁶ الفروع لابن مفلح(568/1)

²⁷ سبق تخريجه قريباً .

²⁸ وهذا التفصيل قد ورد بمعناه في عدة مواضع من كلام أهل العلم ، منها ما نقله البيهقي عن
الشافعي في السنن الكبرى (499/3) ونص عليه الباجي في المنتقى (335/1)

1) نسبة المطر إلى النوء على سبيل الاستقلالية :

وأما من نسب المطر إلى النوء على أنه الخالق له المنزل له فلا شك في كفر هذا القائل لذلك ، وهذا شرك في الربوبية ، وهو من كفر التشريك ، والقاعدة عند أهل العلم في ذلك :

" كل من اعتقد في غير الله -تعالى- ما لا يُعتقد إلا في الله فقد وقع في الكفر الأكبر "

فإنه -عز وجل- هو الخالق والمنزل للمطر ، قال تعالى (أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (68) أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ) (الواقعة/69) . والمطر مربوب لله تعالى ، كما ورد في قوله - صلى الله عليه وسلم - عن المطر: (أَنَّهُ حَدِيثٌ عَهْدٍ بِرَبِّهِ نَسَبَةٌ) ، وعليه فإن نسبة المطر إلى النوء على سبيل الاستقلالية إنما هو شرك في الربوبية .

* وكذلك هو شرك في الأسماء والصفات :

فقد قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (لقمان/34)

وقال النبي - صلى الله عليه وسلم :

«مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ ، لَا يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا يَعْلَمُ مَا فِي عَدِّ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي الْمَطْرُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللَّهُ» .²⁹

فقد أخبر صلى الله عليه وسلم أنه لا يعلم متى يجيء المطر إلا الله ، فلو كان المطر من قبل الأنواء -على ما زعموا - لما اختص الله -تعالى- بعلم وقت سقوط المطر ، ولكان النوء شريكاً لله -تعالى- في صفة علمه عز وجل للغيب .³⁰

* ومما يدل أيضاً على أن ذلك من الشرك الأكبر:

أن هذا من الإلحاد في آيات الله ، فأيات الله نوعان:

(١) آيات كونية. (٢) آيات شرعية.

فمن يحرف آيات الله -تعالى- فهذا من الإلحاد في آياته الشرعية ، قال تعالى : « مِنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ » .

²⁹ أخرجه البخاري(1039)

³⁰ التوضيح لشرح الجامع الصحيح(294/8)

وأما الإلحاد في آيات الله الكونية :
فذلك بأن يربطها بغير فعل الله تعالى ، كمن يقول: «غضب الطبيعة» ،
هذا من الإلحاد في آيات الله الكونية ؛ لأن الطبيعة مخلوقة لله عز وجل .
ويدخل في الإلحاد في آيات الله -تعالى- الكونية :
نسبة المطر إلى غير الله تعالى .
قال ابن رجب :

فإضافة نزول الغيث إلى الأنواء، إن اعتقد أن الأنواء هي الفاعلة لذلك،
المدبرة له دون الله عز وجل، فقد كفر بالله وأشرك به كفراً ينقله عن ملة
الإسلام . 31

(2) نسبة المطر إلى النوء على سبيل السببية :

كأن يقول " مُطَرْنَا بِنُوءِ كَذَا وَكَذَا " ، معتقداً أن النوء إذا ما ظهر أو تحرك
تسبب ذلك في نزول المطر ، فهنا يكون قد نسب نزول المطر إلى سبب لم
يجعله الله سبباً ، لا شرعاً ولا قدراً .
وقاعدة الباب هنا :

" كل من اعتقد في سبب لم يقدّره الله -تعالى- سبباً ، لا شرعاً ولا قدراً فقد
وقع في الشرك الأصغر " ؛ وعلّة ذلك أنه شارك الله - تعالى - من الحكم
لهذا الشيء بالسببية مع أن الله -تعالى- لم يجعله سبباً .
فمن المعلوم بالقطع شرعاً وقدراً أن حركة النوء ظهوراً أو اختفاءً لا
علاقة لها بنزول المطر ، فلا نصوص الشرع قالت بهذا ، ولا كلام علماء
الأرصاد والمناخ نص على ذلك .

(3) نسبة المطر إلى النوء على سبيل الموافقة الزمنية :

وتوصيف هذه الحالة أن القائل بها لا يعتقد علاقة الاستقلالية ولا السببية
بين المطر والنوء ، وإنما هي علاقة الظرفية ، حيث يرى القائل بها
حدوث الموافقة الزمنية بين ظهور النجم لفلاني و نزول المطر ، وهذا قاله
بناءً على جريان العادة ، وما توافق عند القائل وتواتر من تكرار نزول
المطر في أوقات بعينها يصعد فيها نجم أو يسقط .
وعليه صارت الباء في قوله " مُطَرْنَا بِنُوءِ كَذَا " هي باء الظرفية ،
كما ورد في قوله تعالى (وَاتَّكُمُ لَتَمُرُّنَّ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ (137) وَبِاللَّيْلِ أَفْلا

³¹ فتح الباري لابن رجب (260/9)

تَعْقُلُونَ (138))

وأما حكم هذه الحالة فمحل خلاف بين العلماء بين المجوز لها والمانع .
قال الشافعي :

أما من قال: مُطَرْنَا بنوء كذا على معنى مُطَرْنَا بوقت كذا ، فإنما ذلك كقوله مُطَرْنَا في شهر كذا، ولا يكون هذا كفراً ، وغيره من الكلام أحب إليّ منه ، أحب أن يقول مُطَرْنَا في وقت كذا .³²
*** والراجح - والله أعلم - المنع من هذه العبارة .**

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن :

وإما أن يقول: مُطَرْنَا بنوء كذا مثلاً، لكن مع اعتقاده أن المؤثر هو الله وحده، ولكن أجري العادة بوجود المطر عند سقوط ذلك النجم، والصحيح أنه يحرم نسبة ذلك إلى النجم ولو على طريق المجاز .³³

*** ومما يؤيد ذلك أمور :**

(1) الأول :

سد ذريعة الوصول إلى العبارات الأخرى الموافقة لها في اللفظ ، وإن اختلف المقصد عند القائل .

وهذا أصل معتبر في الشرع ، قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا) (البقرة/104)

ففي الآية دلالة بيّنة على النهي عن اللفظ ولو كان جائزاً ، لئلا يتوصل به إلى ما هو غير جائز .

* وقد كان أبوهريرة - رضى الله عنه - يقول إذا أصبح وقد مُطر الناس : مُطَرْنَا بنوء الفتح ، ثم يتلو هذه الآية { مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ } [فاطر: 2] ³⁴

أي: فتح ربنا علينا ، فاستعمل النوء في الفتح الإلهي للإشارة إلى رد معتقد الجاهلية من إسناده للكواكب، كأنه يقول:

³² الأم (222/2) وهذا ما رجحه أيضاً ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر (122/5). فقد قال رحمه الله : أما من جعل المطر من فعل الله -تعالى- وأراد بقوله: «مطرنا بنوء كذا» أي في وقت كذا، وهو هذا النوء الفلاني، فإن ذلك جائز: أي إن الله قد أجرى العادة أن يأتي المطر في هذه الأوقات.

³³ : الشرك في القديم والحديث(ص/457)

³⁴ أخرجه مالك في الموطأ (655) في الاستسقاء، باب الاستمطار بالنجوم ، بلاغاً، وإسناده منقطع.

إذا لم تعدلوا عن لفظ نوء فأضيفوه إلى الفتح ، وهذا منه - رضى الله عنه -
- تأكيداً لما ذكرنا من غلق هذا الباب سداً للذريعة ، وهذا نفسه مما يؤخذ
من قول الشافعي السابق : " وغيره من الكلام أحب إليّ " ، فإنما قصد به
حسم المادة .

" أما إن قال ذلك - أى مُطرنا بنوء كذا - على معنى أن العادة نزول المطر
عند نوء من الأنواء، وأن ذلك النوء لا تأثير له في نزوله، وأن المنفرد
بإنزاله الله ، فلا يكفر مع أن هذا اللفظ لا يجوز إطلاقه بوجه، وإن لم
يعتقد ما ذكرنا لورود الشرع بالمنع منه ، ولما فيه من إيهام السامع ، كما
أنه يُنهي عن إطلاق ذلك لئلا يعتقد أحد اعتقاد أهل الجاهلية، ولا يتشبه بهم
في نطقهم .³⁵

(2) الثانى :

لم يُعرف لا بالنصوص الشرعية ولا بالأسباب القدرية الكونية ولا حتى
بمجرد الموافقة الزمنية أية علاقة بين نزول المطر وحركة النجوم
والأنواء .

بل الذى ورد في أدلة الشرع هو نفي علاقة النوء بسقوط المطر ؛ وذلك
كما ورد عن أبي هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - قال: " لا عدوى ولا هامة ولا نوء ولا صفر " ³⁶
والنفي يرد على أربعة أنواع:

(١) نفي وجود. (٢) تأثير (٣) صحة (٤) كمال.

*ومثال النوع الأول :

قوله صلى الله عليه وسلم " لا شخَصَ أُغْيِرَ مِنْ اللَّهِ " ³⁷ ، فهذا نفي
لوجود أى شخص أُغير من الله تعالى ، وكذلك قولنا " لا إله إلا الله " ،
فهذا في حقيقته نفي لوجود أى إله بحق إلا الله عزوجل .

*ومثال النوع الثانى :

قوله صلى الله عليه وسلم: (لا عدوى ولا طيرة) هذا نفي للتأثير ،
والمعنى : أنه لا عدوى مؤثرة بذاتها كما كان يعتقد أهل الجاهلية ،

³⁵ شرح الزرقاني على موطأ مالك (656/1) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (546/2)

³⁶ أخرجه أحمد (9165) ومسلم (2220)

³⁷ متفق عليه.

وكذلك قوله : " لا طيرة " مؤثرة في دفع ضرر أو جلب نفع فالنفي هنا نفي تأثير لا نفي وجود.

*ومثال النوع الثالث:

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ»³⁸ والمعنى : لا صلاة صحيحة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب .

*ومثال النوع الرابع :

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ)³⁹ فهذا نفي لكمال الإيمان الواجب ، وليس لأصله كما ذهب إليه الخوارج.

*فإذا سألت :

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَا نَوْءَ " يتبع أى قسم؟؟؟

الجواب :

هو تابع للقسم الثانى ؛ حيث كان أهل الجاهلية عند سقوط مطر ينسبونه إلى النجم الساقط والنجم الغارب ، يقولون: مُطَرْنَا بنوء كذا، فقيل لهم: " لا نوء " : أي لا أثر لنجم في نزول المطر، وإنما المطر من الله تعالى.

*تنبيه :

ما يتم تدواله في المطبوعات من تقسيم السنة إلى النوات ، كنوة الغطاس و المكنسة وأعياد الميلاد ...، وكذلك ما يتناقله البعض من قولهم نوة كذا أو كذا فينسبون المطر إلى هذه النوات ، فهذا مما يتبع القسم الثالث الذى ذكرناه في نسبة المطر إلى النوء من باب الموافقة الزمنية لا غير ، وقد وضحنا حكم هذه الصورة ، وذكرنا والراجع فيها .

*** فرع : الله تعالى - قد قدر الأسباب :

أ) وجعل سبحانه وتعالى الالتفات إليها اعتماداً وتوكلاً عليها قدحاً في التوحيد . لأنه ليس هناك شيء يستقل بالتأثير بدون مشيئة الله تعالى ، قال الله تعالى في السحرة : (وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) (البقرة/102) .

ب) وجعل سبحانه الإعراض عنها بالكلية من القدح في الشرع .

ج) وجعل سبحانه الأخذ بها علامة من علامات التوحيد الصحيح .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد. ومحو الأسباب أن تكون أسباباً

³⁸ متفق عليه .

³⁹ أخرجه أحمد(12406)، انظر صحيح الجامع (7179)

نقص في العقل والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع ، وإنما التوكل والرجاء معنى يتألف من موجب التوحيد والعقل والشرع .⁴⁰

***** ومن هذا الباب نقول :-**

إذا تحقق إنتفاء العلاقة بين النوء ونزول المطر من كل وجه بقي أن يُعلم لنزول المطر أسباباً قدّر لها الله عزوجل ، وهي إرسال الرياح . قال تعالى (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (الأعراف/57)

فقوله تعالى (فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ...) هذه باء السببية ، والضمير بعدها يعود إلى قوله الأول (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ...) * وتأمل قوله تعالى ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ [الحجر: 22]

وهو أن الرياح تَلْقَحُ السحاب بما ينزل بسببه المطر .⁴¹

*** سؤال وجواب :-**

هل معرفة توقعات نزول الأمطار من نشرة أحوال الطقس تدخل في التنجيم أو ادعاء علم الغيب ؟؟

*** الجواب :-**

معرفة أحوال الطقس لا تدخل في التنجيم أو ادعاء علم الغيب ، وإنما تبني

⁴⁰ مجموع الفتاوى (169/8)

فالله -عزوجل- خالق الأسباب والمسببات، والمسبب هو الأثر المترتب على وجود السبب . ومن حكمة الله - تعالى - أنه ربط الأسباب بمسبباتها ، ولكن لا يلزم من وجود الأسباب وجود المسببات ، وقد توجد المسببات مع غياب الأسباب ، فالأمر ليس معادلة رياضية ، فقد يتواجد السبب ويتخلف الأثر ، كما وقع لإبراهيم -عليه السلام- لما ألقى في النار ، وقد يوجد الأثر = مع تخلف السبب ، كما وقع لمريم -عليها السلام- لما حملت بلا مس من البشر .

وقد توسعنا في بسط ذلك في رسالتنا "إيقاف الطالبين على فوائد حديث السبعين"

⁴¹ أشار القرآن الكريم إلى وظيفة هامة تقوم بها الرياح، هذه الوظيفة هي عملية التلقيح، يقول تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ [الحجر: 22]

فنقوم الرياح بالتلقيح الريحي للنباتات، وكشف العلم عن نوع آخر من التلقيح هو تلقيح السحاب، فالرياح بمشيئة الله تعالى تثير السحاب بتزويد الهواء بالرطوبة اللازمة، وإن إرسال الرياح بنوى التكثف المختلفة يعين بخار الماء الذي بالسحاب على التكثف ، كما يعين قطيرات الماء المتكثفة في السحاب على مزيد من النمو حتى تصل إلى الكتلة التي تسمح لها بالنزول مطراً أو ثلجاً أو برداً بإذن الله تعالى . (ذكره عادل الصعدي نقلاً من موقع جامعة الإيمان)

على توقعات بهبوب رياح جرت العادة على مجيئها نفس هذا لتوقيت من كل عام مثلاً ، فتسبب نزول الأمطار .

فهذه أمور حسية وتجارب لها مقدمات ونتائج بنيت على علوم تطبيقية عُرف من خلالها أوقات الكسوف والخسوف وأوقات هبوب الرياح و نزول الأمطار .

وهذا النوع من العلوم مما يُحتاج إليه لمعرفة ما يدرك بالمشاهدة كمعرفة ظل الشمس وجهة القبلة، ونحو ذلك، فلا يدخل تحت النهي ، وهو ما يسمى "علم التسيير" .

وقد رخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق. وروى ابن المنذر عن مجاهد "أنه كان لا يرى بأساً أن يتعلم الرجل منازل القمر" .

* وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية :

في قول أهل التقاويم في أن الرابع عشر من هذا الشهر يخسف القمر، وفي التاسع والعشرين تكسف الشمس، فهل يصدقون في ذلك؟؟
الجواب:

الحمد لله الخسوف والكسوف لهما أوقات مقدرة كما لطلوع الهلال وقت مقدر، وذلك مما أجرى الله عادته بالليل والنهار والشتاء والصيف، وسائر ما يتبع جريان الشمس والقمر، وذلك من آيات الله تعالى .
وقد أجرى الله العادة أن الشمس لا تكسف إلا وقت الاستسرار. وأن القمر لا يخسف إلا وقت الإبدار، ووقت إبداره هي الليالي البيض التي يستحب صيام أيامها.

والعلم بالعادة في الكسوف والخسوف، فإنما يعرفه من يعرف حساب جريانهما ، وليس خبر الحاسب بذلك من باب علم الغيب، ولا من باب ما يخبر به من الأحكام التي يكون كذبه فيها أعظم من صدقه، فإن ذلك قول بلا علم ثابت وبناء على غير أصل صحيح.⁴²

***قال ابن رجب:**

المأذون في تعلمه علم التسيير لا علم التأثير، فإنه باطل محرم قليله وكثيره، وأما علم التسيير فيتعلم ما يحتاج إليه من الاهتداء ومعرفة القبلة، والطرق، جائز عند الجمهور .⁴³

⁴² الفتاوى الكبرى(4/424)

⁴³ وانظر لذلك فتح الباري شرح صحيح البخاري(3/69) والزواجر للهيتمي(2/193)

****وعلى هذا يقال :**

ما يُنقل عن أحوال الطقس كل يوم ليس من ادّعاء علم الغيب؛ بل هي من علم الشهادة؛ لأنّ الأقمار الصناعية تصور السحاب وحركة المنخفضات والمرتفعات والرياح، وليس في ذلك شبه بدعوى علم الغيب؛ فهو يستند إلى أمور حسية .⁴⁴

تم بحمد الله.

⁴⁴ وجاء في بحث عن ذلك كتبه الدكتور عبد الشكور العروسي الأستاذ بقسم العقيدة - كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى قال فيه: فإن قيل: إذا كان الخلق لا يعلمون ما يستقبل من الحوادث، فكيف استطاع الفلكيون معرفة تواريخ الكسوف وساعاته، واستطاع مراقبو أحوال الطقس عن طريق المراصد الجوية الإخبار بأخباره قبل حدوثه. قيل: إن ذلك من التجارب البشرية المتكررة التي مكنت العلماء الذين يقومون بالرصد المتواصل من توقع تلك الحوادث على سبيل التوقع والظن، لا على سبيل العلم واليقين، فكما يستنتج أحدنا تقابل قطارين في نقطة معينة إذا كان انطلاقها في وقت واحد وسرعة واحدة سائرًا كلاً منهما في الاتجاه المواجه للآخر، فكذلك توقع الفلكيين مرور القمر بين الأرض والشمس في موضع معين في ساعة معينة لا يدل على علم الغيب، وإنما هو توقع مبني على التجارب والملاحظات المتواصلة، والاختبارات المتكررة. وهذا مما لا يجزم بحدوثه ووقوعه، والعلم بالشيء هو الجزم بما هو عليه، أو بما سيقع لا محالة، فليتأمل. اهـ